

القوى العاقلة في الحيوان ❦

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الافعال العقلية فلا يتأتى لنا الحكم بوجود مصدرها في الحيوان الا بمقدار ما يبدو لنا من ظواهرها . فالشبنزي (الشمباتزي) في افريقيا والاوران في الهند الشرقية على تباين محتدهما بينان مساطب يتوسدانهما ليلاً والاول قد يتدثر بما تصل يده اليه من الاكياس وما مائلها اتقاء للبرد وبذلك يماثلان الانسان في اتخاذ البناء والكسوة . ويؤثر عن قرد في رأس الرجاء الصالح انه كان قد غاظه احد ضباط العسكرية تكراراً فاعتنم ذات يوم فرصة مرور ذلك الضابط بلباس الاستعراض وخلصاً رآه مقبلاً عليه عمد الى ماء على مقربة منه فصب شيئاً منه في حفرة وعجن كتلة من الطين ثم رمى بها عليه فجعله عبرة للناظرين . وقد شوهد فيل ينفخ وراء غرض على بعد منه فادنأه اليه مقدوفاً بمجرى الهواء . ورؤي دبٌ محبوس في قفص في مدينة فيينا يحدث مجرى مائياً في ساقية كان قفصه موضوعاً على شاطئها فاخذ يضرب الماء بيده ويحوله الى جهته ليحمل اليه مجرى الماء كسرة من الحبز كانت طافية على بعد منه . وافيال الهند تتناول اغصاناً من الشجر تطرد بها الذباب وتستعملها بمثابة المروحة . وعندنا وكثيراً ما تتلذذ باستعمالها حتى يصعب نزعها منها . وللكلاب نواذر غريبة وقصص عجيبة تدل على مالها من النباهة والحدق والركن ومن غريب ما يروى عن احد كلاب الصعيد انه حاول مرة حمل بطتين كبيرتين كان قد رماها صاحبه

بطلق ناري وكانت احدهما لا تزال حية فلما لم يمكنه حملها معها اجبر على البطة الحية وتركها في الارض ثم عاد فاخذها بعد ما اوصل الاولى الى صاحبه واذا نظرنا الى جوارح الطير نرى ان النسر يعلم فراخه الطيران والصقر يمرن صغاره على تقدير المسافات باطلاقها وراء جردان ميتة يقذفها لها من حلق حتى اذا مهت في ذلك دربها على صيد العصافير الحية . ولو قصدنا ايراد كل ما يؤثر عن الحيوانات الدنيا من الافعال الدالة على ادراكها ونباهتها لمأثنا المجلدات الضخمة . وحسبنا من ذلك ان النمل على صغر جثته نجد عنده من النباهة وقوة الفهم ما يجعله من اسمى الكائنات ادراكاً اذا اعتبر في ذلك نسبة ثقل الدماغ الى سعة العقل . فالنمل يتفاهم ويتعاصد على العمل ويتعارف بعد اشهر ويتعاطف ويبنى قرى حسنة الوضع محكمة الصنع يحفظها دائماً نظيفة ويسد ابوابها في المساء بعد ما يضع عليها الحراس ويفتح الاسراب ويمهد الطرق تحت الانهر ويكون جسوراً وقتية فوقها باصطفاف افراده بعضها بجانب بعض طافية على وجه الماء ويدخر مؤونة لمجتمعه ويوسع ابواب قراه لادخال الذخائر الضخمة الحجم ثم يبنئها ثانية فيعيددها الى سعتها الاصلية ويخزن الحبوب الى حين الحاجة بعد ان يقضم اطرافها لينعق تقرينها واذا ترطبت يخرجها وينشرها الى ان تجف ويستخدم نوعاً من الحشرات بمثابة البقر الحلوبة عند الانسان ويشن الغارة بتمام الانتظام ويبدل حياته لخير مجتمعه ويأسر العبيد ويتقل بيظه الى ادفاً مكان في القرية ليسرع نقفه الى آخر ما يأتيه من غرائب الافعال وعجائب الاعمال هذا واني اراني مضطراً لضيق المقام الى ترك الكلام على مظاهر التعقل

في النحل و كلب الماء والقيط والفرس وغيرها وسرد ما يؤثر عنها من التحوط والنجابة والفهم والامانة وغير ذلك مما يقضي بالعجب العجيب فاكثني من هذا البحث بالقدر الذي اوردته وهو كاف للحكم

واما القوى الادبية فلما كانت مرتبطة كل الارتباط بالقوى العقلية وكانت من اهم المميزات بين الانسان والحيوان لم يكن لنا بد من البحث فيها وايراد ظواهرها وسيوضح للقارئ ان آثار الارتقاء الادبي جليلة الظهور في اخلاق الحيوانات الدنيا مما يدلنا على تدرج الارتقاء العقلي والادبي معاً. فالحاسة الادبية - او الضمير - من اعظم الفوارق بين الانسان والحيوان وهي تنمو بنمو القوى العقلية فكما ارتقى الانسان عقلاً ارتقت معه الحاسة الادبية لاتصالها بالروابط الاجتماعية من مثل الغريزة الاجتماعية (او الميل الى الاجتماع) والمحبة الالدية وما شاكلهما. فالغريزة الاجتماعية من شأنها ان تبعث المجتمع على السرور بالاجتماع وبالتالي على التعاطف. وليس بخاف ان الآداب اعتبارية او نسبية وهي عبارة عن عمل «الواجب» ولذلك تختلف باختلاف اعتبار عمل الواجب. فاناث النحل العامل مثلاً تقتل الذكور لانها لا تجني عسلاً مثلها وتستحي الاناث لانها هي التي تقوم بمقتضيات هيئتها الاجتماعية فلو كانت احوالنا مماثلة بكليتها لاحوال النحل ربما كنا نعتبر القتل من واجباتنا مثلها. ولما كان المجتمع الحيواني كالمجتمع الانساني لا يقوم الا بالتعاون والتعاقد كان الميل في الحيوان الى التعاضد غريزياً مثله في الانسان لرسوخه فيه جرياً على قاعدة الارث. فالقروود والذئاب والزبان والقطا وغيرها تعيش اسراباً وتتعاون في تحصيل رزقها.

وقد يتألف بعض افراد المجتمع الواحد من الحيوان تألفاً يكون من وراء تفرقه وحشة الية تقضي الى الشقاء. وكل من عني بملاحظة الحيوانات الاليفة يعلم ما تظهره الخيل والكلاب من الكابة والانكسار عند فصل بعضها عن بعض ومن الأُنس والابتهاج عند عودها الى الاجتماع حتى لقد يعاف بعض الحيوانات الطعام حزناً على فراق أليفه فيقضي شهيد امانته وحسرتة - فهل يوجد كثيرون من الحيوانات الناطقة يموتون شهداء الامانة - . وجميع قطعان الحيوان واسراب الطير تبدي من التحوط واليقظة ما هو جدير بالاستغراب. فالارانب والاراي تضرع الارض بقوائمه تنبهاً للقطيع عند دنو الخطر. وبعض ذوات الاثدي وكثير من الطير تقيم حراساً تتكفل بوقاية السرب من الغيلة. وقواد القروود تفوه بعلامات الخطر والسلم في حينها فتقي جماعاتها من مفاجأة العدو. وغالب الطير يصوت عند نهوضه من محبته اذا فاجأه خطر فينبه بعضه بعضاً للفرار من وجهه (ستأتي البقية)

عمدة الصفوة في حل القهوة

(تابع لما في الجزء السابق)

واما اول ظهورها بمصر فقال العلامة ابن عبد الغفار انها ظهرت في حارة الجامع الازهر في العشر الاول من هذا القرن وكانت تُشرب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيه اليمانيون ومن يسكن في رواقهم من اهل الحرمين وكان المستعمل لها الفقراء المشتغلون في الرواتب من الأذكار والمدائح